ـــ ولماذا لم يحدث في عام ١٩٤٨ .. في عام الرحيل ؟

● آه . كنا سياحا يومها . كان جدي يحمل كيسا كبيرا من النقود ، وينزهنا في لبنان . يأخذنا الى كروم التفاح لنختار الفاكهة المعلقة على الشجر . ويأخذنا ، كل اسبوع ، الى بيروت التي كانت اول مدينة أراها بعد عكا . لم تكن هجرة .. كانت سفرا ونزهة . كنا ننتظر انتصار الجيوش العربية على الغزاة خلال اسابيع ونعود بعدها الى البروة . لم نسكن مخيما . مررنا في رميش ، ثم بتنا ليلة في بنت جبيل التي ازدحمت بصراخ المنفيين وكانت حظيرة بشرية . كانت الليلة الثانية التي نبيتها خارج البيت . الليلة الاولى كانت في احد مضارب البدو في الجليل حيث أكل عشرات من « الضيوف » بيضا مقليا من اناء واحد . وفي جزين ـــ حيث أقمنا ـــ رأيت السواقي التي تسكن البيوت ، ورأيت الشلال . وحين اشتد البرد هناك انتقلنا الى الدامور وعبرنا كروم الموز ، ولعبنا على الشاطىء ، وسبحنا في البحر . عبرت الشارع الواسع يوما قبل أخي الذي لحق بي فضربته سيارة لم تصبه بجروح ولكنها أصابته بذهول لم ينج منه الا بعد سنين . وكان جدي قارئا جيدا للصحف التي وعدته بالعودة القريبة . وكنا نتحلق حوله وهو يقرأ الاخبار بنبرة عالية ونظارة نازلة . وكانت الجريدة تنقله من حزم الامتعة الى التريث قليلا ومـــن ثم الى الانتظار ، حتى لاحظنا وهنا بطيئا يزحف الى نبرته التي أخذت بالانخفاض ونظارته التي اخذت بالارتفاع الى مكانها الطبيعي . وفي ليالي الشتاء كان اخـــوان الغربة والسمر يتبادلون الرأي حول المعارك الدائرة على أرض فلسطين ، وقرأوا عن سقوط البروة .

ـــ ألم تسقط من قبل ؟

● سقطت ليلة واحدة ، ثم حررها اصحابها الفلاحون بأسلحتهم البدائية وبمساعدة من القرى المجاورة . وفور تحريرها استعدوا لجمع الحصـــاد الذي كان ينتظرهم على البيادر . ولكن جيش الانقاذ استولى على القرية ، بعد تحريرهـــا ، ولا نعرف كيف استلمها اليهود بعد ذلك .

بعد عشرين سنة ، وبعد سقوط مدن عربية كثيرة لم تعجب آرائي التي عبرت عنها بلغة عبرية لصديقي رجلا كان يجلس في المطعم ، فانبرى للدفاع عن الظلم الاسرائيلي بذريعة ظنها مفحمة . قال لي انك لا تعرف العرب ولو كنت تعرفهم لما تكلمت عن العدل بهذه اللهجة . طلبت منه أن يزيدني علما ، فقطب حاجبيه وسألني ان كنت قد سمعت بقرية اسمها البروة . قلت : لا ، فأين هي ؟ قال : لن تجدها على سطح الارض ، فقد نسفناها ومشطنا ارضها من الحجارة ثم حرثناها وأخفيناها تحت الاشجار . قلت : لاخفـــاء الجريمة ؟ احتج مصححا : بل لاخفاء جريمتها تلك الملعونة . قلت : وما جريمتها ؟ فقال : لقد قاومتنا .. حاربتنا . كلفتنا خسائر كثيرة واضطررنا الى احتلالها مرتين . في المرة الاولى ، كنا نتناول طعام العشاء ، وكان الشاي ساخنا ففاجأنا الفلاحون واستردوها منا . كيف نقبل هذه الاهانة ؟ أنت لا تعرف العرب وها أنذا اقول لك .

حين اخبرته انها قريتي حاول الاعتذار بلباقة شاقة وحدثني عن السلام . ثم دعاني لزيارة دكانه الذي يعـــرض فيه للمزاد العلني الامتعـــة والادوات المنزليـــة المسروقة من مدينة القنيطرة .

بعد أيام ، كانت مستوطنتان يهوديتان تحتفلان باليوبيل الفضي لنشوئهما على اراضي البروة . وكنت اتحدث في مؤتمر صحفي عن الظلم اللاحق بالعرب ، فتصدى لي مراسل صحيفة الاستيطان . لوحت له بنبأ الاحتفال فحاول الاعتذار بلباقة شاقة وحدثني عن السلام .